الآخرون. لا أدري إن كان أي من أولاد أمشل زار بلادنا، ولكني أعرف أن إدموند أصغر أولاد جيمس، وحفيد أمشلَ زار فلسطين للمرة الأولى عام ١٨٩٥ وأنه منذ تلك الزيارة إلى وفاته عام ١٩٣٤ قدم دعما هائلا لمشروع إقامة الدولة اليهودية، موّل شراء الأراضي وإقامة عشرات المستوطنات، وتدريب المهاجرين على الزراعة، وترتيب استقرارهم في الأرض الموعودة. كان الرجل «محسنا كبيرا» هكذا تقول الأدبيات الأوروبية. استعمر فلسطين، وأسس معاهد ومراكز للبحوث العلمية في باريس ولندن، وجمع لوحات تمينة لكبار مصوري القرنين السابع عشر والثامن عشر.

أذكر أنني حين انتهيت من كتابة هذه الأوراق التفت إلى فارس. كان مستغرقا في نوم عميق، رأيت حبات العرق أعلى شفته العليا مكان شارب لم ينبت بعد. وكانت شهرزاد تتطلع إليه وتنتظر. فكرت في إيقاظه لأقرأ عليه ما كتبت ولأعرِّفه بالتفاصيل، ولكني تركته نائما، قلت: لا بد أنه يعرف، قد لا تكون التفاصيل مهمة، قد لا تقول كل شيء، وقد ينقل شيء واحد كل التفاصيل، يُجْملُها معينةً كاملةً وواضحة. أوفت الدبابة المعنى، كذلك فارس وهو يقف في موَاجهتها.

دخلت إلى فراشي.